باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى وجود الحق سبحانه وتعالى واعلم ان فى حديث انا سيد العالمين ابلغ
رد على المعتزلة فى تفضيلهم الملائكة على الانبياء وان وافقهم الباقلانى والحليمى قالوا لانهم ارواح منزهة
عن الشر بسائر مباديه وغاياته والانبياء يتعلمون منهم وقدموا فى القران والسنة على الانبياء فى
الذكر والجواب ان ذلك التنزيه هو المقتضى لمفضوليتهم لان غيرهم انما اكتسب الفضائل والكمالات
العلمية والعملية مع ما ركب فيهم من الشهوة والهوى وسلط عليهم من الشيطان وجنوده وقام بهم
من العوائق والموانع والاشتغال الضرورية المانعة عن اكتساب شى من تلك الكمالات كان اكتسابهم لها
مع ذلك اشق وادخل فى الاخلاص فكانوا افضل والتعلم منهم لانه واسطة فى التبليغ والعادة قاضية
بان المرسل اليه فى نحو ذلك افضل من الرسول والتقديم فى الذكر لتقديمهم فى الوجود واما قوله تعالى لن
يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الاية فان العادة فى مثله وان اقتضت الترقى من الادنى الى الاعلى كما
فى لا يستنكف من هذا وزير ولا سلطان فلا دلالة فيه لانه رد على النصارى حيث استعظموا المسيح عن العبادة
لاثباتهم له البنوة لكونه مجردا لا اب له ويحى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فرد عليهم لا يستنكف من
ذلك ولا من هو على منه فى هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله تعالى
على افعال اقوى واعجب من ابراء ذينك فالترقى والعلو انما هو فى امر التجرد واظهار الاثار القوية لا فى
مطلق الشرف والكمال فلا دلالة فى الاية على افضلية الملائكة ومعنى تفضيل البشر عليهم ان خواصهم
وهم الانبياء لا غير افضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل وحملة العرش
والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواصهم افضل من عوام البشر اجماعا بل ضرورة وعوام
البشر وهم الصلحاء دون الفسقة كما قال البيهقى وغيره افضل من عوامهم الكريم على سائر الرسل بالقران
مصدر قرا اذا جمع لجمعه السور المختلفة وعلوم الاولين والاخرين وقيل اذا الفى يحسن لحسن نظمه
وتاليفه العزيز الممتنع لرصانة مبانيه ووصولها الى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة وصحة معانيه
واشتمالها على اشتات العلوم وبدايع الحكم وغير ذلك مما لا يحيط به الا المتفضل بانزاله سبحانه عن
الطعن فيه والازراء عليه لانه تعالى تكفل بحفظه عن تعنت المعاندين وكيد الجاحدين فهو كريم عليه
منيع من الشيطان وجنوده المعجزة وهى من حيث هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال
على صدق الانبيا عليهم الصلاة والسلام سمى معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثله فعلم انه لا بد فيها
من ان تكون خارقة للعادة وان تقترن بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة قال المحققون هو دعوى
الرسالة وان يامن المتحدى من ان يعارض بمثل ما اتى به وان يقع ما ياتى به على وفق دعواه فخرج الخارق

من غير تحد

من غير تحد فيسمى كرامة والخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام فانه لم يقع له صلى الله عليه وسلم
الا قبل النبوة خلافا لمن وهم فيه فيسمى ارهاصا اى تاسيسا للنبوة والمتاخر عنه نحو ما روى بعد وفاته
من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار فيسمى كرامة والخارق الذى لا تومن
معارضته فيسمى سحرا وجوز قوم قلب الاعيان واحالة الطبايع به كصيرورة الانسان حمارا وضعفه
اخرون قالوا والا لم يكن فرق بين النبى والساحر ويرد بوضوح الفرق بينهما فان قبلهما عند التحدى
لا يمكن معارضته لاطراد العادة الالهية بان مدعى النبوة كاذبا لا يظهر على يديه خارق كذلك
مطلقا وعند عدمه تمكن المعارضة بتعلم ذلك السحر فظهر ان قيد التحدى لا بد منه لكنه لا يشترط
عند كل معجزة لان اكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحد بغير القران وتمنى الموت وانما الشرط
وقوعها ممن سبق منه دعوى التحدى فتامل ذلك لتندفع به ما اطال به القفاش فى تفسيره من ابطال
اشتراط ذلك وتزييفه والخارق المكذب للتحدى به كما وقع لمسيلمة اللعين انه تفل فى بئر ليكثر ماؤها
فغار ولا يرد ما يقع على يد الدجال من الخوارق العجيبة لانه مدع للربوبية لا الرسالة فالعقل يستقل
بكذب دعواه فلا يؤثر فيه ظهور تلك على يديه بخلاف مدعى الرسالة فان العقل لا يستقل بكذبه فلم
يمكن ظهور خارق على يديه ثم هذه الشروط جميعها موجودة فى القران فكان معجزة بل هو اظهر واعجب
حتى من احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه دعاهم الى معارضته بالاتيان بمثل اقصر سورة منه ففزعوا
الى سفك دمائهم وسبى حريمهم وجلائهم عن وطنهم ولا يدع احد منهم القدرة على ذلك مع كونهم اهل البلاغة
وارباب الفصاحة ورؤسا البيان والمتقدمين فى اللسن فهذا اعجب من عجز من شاهد المسيح يحيى الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص لانهم لم يطمعوا فيه ولا تعاطوا نحوه وقريش كانوا يتعاطون الفصاحة والبلاغة
فعجزهم مع ذلك عن المعارضة وفرارهم الى ما ذكر دليل قاطع على نبوة المتحدى به ومن ثم نادى
عليهم صلى الله عليه وسلم بعجزهم قبل المعارضة بقوله عز الله تعالى ولن تفعلوا قل لئن اجتمعت الانس والجن
الاية فلولا علمه بانه على بينة من ربه وانه لا يقع فيما اخبر به خلف والا لم ياذن له عقله الذى هو اكمل
العقول بالقطع فى شى انه لا يكون ثم وجوه اعجاز القران لا تنحصر فمنها ايجازه وبلاغته ومن ثم
لما سمع اعرابى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع الاصمعى من جارية
خماسية او سداسية فصاحة تعجب منها فقالت او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية فجمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقد قال بعض بطارقة الروم
لعمر لما اسلم ان اية ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه جمعت ما انزل على عيسى من احوال الدنيا والاخرة ومنها

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)